يفرحون بما اتوا من اشتراء الثمن القليل بتغيير كلام الله انه سبب فرح بل هو سبب
حزن كيف ولا يحبون ظهوره لانه يوجب الذم بل يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا
من وفاء الميثاق من غير تغيير ولا كتمان فلا تحسبن انه يدوم حمدهم بل يظهر شرهم
فيذمون فان لم يظهر فلا تحسبنهم بمفازة بنجاة من العذاب و لا ينتفعون بفرحهم و
حمدهم في الدنيا حين يكون لهم عذاب اليم و لا مانع منه اذ لله ملك السموات والارض فله
تسليط ما شاء منها عليهم لتعذيبهم وله ان يعذبهم بغير تسليط شئ اذ والله على كل شئ قدير
ثم استدل على قدرته على الاشياء ابتداء وحكمته في ترتيب الاشياء على اسبابها
وعلى ان للاعمال اثارا يوجب الجزاء فقال ان في خلق اي ايجاد السموات والارض
ابتداء من غير سبب واختلاف الليل والنهار مسببين عن حركات الكواكب بتبعية
حركات الافلاك وافادتها الاظلام والاضاءة لايات على القدرة والحكمة واثار
الاعمال لاولي الالباب اهل البواطن بالتزكية والتصفية بملازمة الذكر اذ هم الذين
يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم فلا يخلو حال من احوالهم عن ذكر الله المفيد
صفاء الظاهر المؤثر في تصفية الباطن ولم يمنعهم القعود ولا الاضطجاع عن حد التيقظ
وان منعا خدام الملوك عن خدمتهم ويعينهم في ذلك انهم يتفكرون اولا في حكم
خلق السموات اذ جعلها متحركة تختلف بها اوضاع كواكبها صعودا وهبوطا واستقامة
ورجوعا والارض اذ جعل فيها عناصر قابلة للكون والفساد لتكوين المعادن
والنبات والحيوانات والانسان من اثار الاوضاع السماوية مع ما فيها
من انواع الحكم فيقولون ربنا ما خلقت هذا باطلا خاليا عن الحكمة سبحانك من
ان تراعي الحكمة في اجزاء العالم ولا تراعيها في الانسان فقد خلقت فيه الصعود
والهبوط والاستقامة والرجوع وجعلت لروحه وقلبه ونفسه من اعمال بها حالات
مختلفة واثارا متنوعة وجعلت بيده ما يستكمل به الحكمة فيستوجب الثواب
او يقطعها فيستوجب العقاب ونحن مقصرون في استكمالها فقنا بفضلك عذاب
النار ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته بابطال انسانيته اذ جعلته شرا من
البهائم والنباتات والجمادات وليس ذلك منك ابتداء بل من ظلمنا وما للظالمين
من انصار فلا ينصرهم بر انسانيتهم تربيتك ولا رحمتك ولا عفوك فضلا عما سواك
ربنا اننا ليس تقصيرنا من جهلنا بل علمنا الحكمة من جهتك اذ سمعنا مناديا اي داعيا
اليها وهو الرسول ينادي للايمان الذي هو راس الحكمة يامرنا ان امنوا بربكم

الذي

الذي يربيكم بتكميل انسانيتكم بالايمان واعماله فامنا طلبا للتربية وبالاعمال ربنا
ولكن صعب علينا الوفاء بمقتضى الايمان من اتيان الاعمال الصالحة واجتناب المعاصي
والمكاره فاغفر لنا ذنوبنا فلا تفضحنا بها وكفر اي امح عنا سيئاتنا اي المكاره فلا
تعاقبنا عليها ولا تجعلها سبب المعاصي ولا تجعل المعاصي سبب الكفر وتوفنا مع الابرار
ثم قالوا ربنا انا وان لم نستوجب على الايمان والاعمال شيئا من الثواب اذ
يكفي في الايمان النجاة عن العذاب الخالد وفي الاعمال كونها شكر النعم السابقة ولكن
اتنا ما وعدتنا على السنة رسلك ولا تخزنا باخسار ايماننا واعمالنا بحيث لا نستحق
عليه الموعود من الثواب بل يلحقنا وعيد العقاب يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد اي ميعاد
الثواب والعقاب ولما دعوا الله مع كمال المعرفة والتزكية استحقوا الاجابة فاستجاب
لهم ربهم جميع دعواتهم بكلمة واحدة وهي اني لا اضيع عمل عامل منكم لاستلزام الوفاء
على الايمان وتكفير السيئات واعطاء الموعود واشار الى انه كيف يضيع مع انه
يلحق الناقص بالكامل حتى يسوي بين كل عامل من ذكر او انثى لسريان النور من الكاملين
الى الناقصين اذ بعضكم من بعض في اتمام الاجر وان كان الكامل يعطى من الفضل ما
لا يعطى الناقص ثم اعمال الناقصين ان لم تكن مكفرة بانفسها فالذين هاجروا
لتكميل ايمانهم فانهم وان اخرجوا من ديارهم فاخراجهم لما كان سبب ايمانهم
واختاروه كانت هجرتهم اختيارية فلا شك انهم ولو لم يكن اختيارية فلا شك انهم
اوذوا في سبيلي فتحملهم الاذى دليل كمال ايمانهم وقد زادوا على تحمله اذ قاتلوا و لو
كان قتالهم لدفع الاذى فقد وقع عليهم اعظم وجوهه اذ قتلوا فهذا كله دليل كمال الايمان
المكفر اعمال صاحب السيئات لذلك لاكفرن عنهم سيئاتهم فيستنير قلوبهم بحيث يسري
منها النور الى قلوب الناقصين ولو لم يكمل هذا النور فلا شك ان نور الاعمال
يكمل فيهم لذلك لادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار اذ صارت قلوبهم باعمالهم
بساتين الاحوال والمقامات تجري من تحتها انهار المعارف فلا بد وان تجري
منها انهار الانوار الى قلوب اتباعهم كيف ولا يكون بقدر الاعمال اذ يكون ثوابا
من عند الله فيعظم بقدر عظمته وكيف لا يكون ثوابه نورا والله عنده حسن الثواب
ولكل حسن نور ولو قال قائل لو كانت الحكمة في خلق السموات والارض الدلالات
الداعية الى الايمان والتقوى لكان كل من كفر في اسوأ الاحوال لابطاله الحكمة
وكل من امن في احسنها لاتمامه الحكمة لكن كثيرا ما نرى الامر بالعكس يقال له لا يغرنك

Copyright © King Saud University